البحث رقم (١)

تكرار ألفاظ النصوص القرآنية وأثرها في تنوع المعنى

الأستاذ الدكتور
فراس يحيى عبد الجليل
كلية العلوم الإسلامية
جامعة الأنبار

ISSN: 2071-6028

ملخص باللغة العربية

أ.د. فراس يحيى عبدالجليل

إنّ الطريق إلى فهم القرآن عمل يحتاج إلى إعداد السبل، وتهيئة الأدوات اللازمة لذلك، فقد يتصدى للقرآن من يخطئ فهمه، أو يتناوله فلا يدرك ما فيه إدراكا واعيا، أو ينبو عن أهداف آياته ومقاصدها. وما يحدث الآن في مجتمعاتنا الإسلامية من انحرافات أو تطرف في فهم القران لهو دليل على هذا الأمر، فتعدد الفرق الدينية والاتجاهات المذهبية، أدى إلى تعويل بعض النصوص الدينية بما يتوافق ووجهتهم ويخدم مذهبهم، وبما تمليه مبادئهم واتجاهاتهم. لذلك فإن الكشف عن مدلول ألفاظ القران الكريم وتراكيبه وتكراره لابد فيه من الرجوع إلى أصل اللغة وتراكيبها، ولا يعني هذا أن مراد المتكلم ومقاصده من كلامه يمكن أن يؤخذ من التفسير الحرفي للألفاظ دائما، وإنما يستعان بها في الفهم الشامل؛ لأن المقصود النهائي هو مطابقة قصد المتكلم من كلامه، وتحري تحقيق أغراضه من خطابه من مجموع التأليف بقدر الطاقة.

الكلمات المفتاحية: تكرار ألفاظ – النصوص القرآنية – تنوع المعنى

THE REPETITION WORDS IN QURANIC TEXTS AND THEIR IMPACT ON DIVERSITY OF MEANING

Prof. Dr. Firas Y. Abdul-Jalil

Summary:

The way to understand the Qur'an is a work that needs to be prepared, and the necessary tools are created. The Qur'an may addressed by those who misinterpret him, or deal with him, unaware of hiss conscious awareness, or depart from the goals of his intentions and purposes. What is happening now in our Islamic societies of deviations or extremism in understanding the Qur'an, is an evidence of this. The multiplicity of religious groups and doctrinal tendencies led to the dependence of some of these differences on some religious texts in accordance with their destination and serve their doctrine, and dictated by their principles and attitudes. Therefore, the disclosure of the meaning of the words of the Qur'an and its composition and repetition, it is necessary to refer to the origin of the language and its compositions. This does not mean that the intent and purpose of the speaker can be taken from the literal interpretation of the words, but is used in the comprehension of the whole, because the ultimate goal is to match the intention of the speaker of his speech and to investigate the realization of his purposes of the discourse of the total composition, as much as possible.

Key words: *Repetition of words - Quranic texts - Diversity of meaning*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا.

لم يكن القرآن إلا نعمة من نعم الله على خلقه، كتاب لا اعوجاج فيه ولا تناقض، مستقيما في لفظه وفي معناه، واضحا في دلالته. وحين يذكرنا الله تعالى بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾، إنّما يريد أن يوضح مكانة القرآن، فهو في بلاغته وبيانه يفي بكل متطلبات البشر، ويعالج ما يعن لهم من مشكلات، يلمح إلى الهداية والنصيحة والعبرة، يسوقها بين الحين والحين بوجوه متباينة وأساليب متنوعة، فهو نمط وحده، وأسلوب فرد، جمع فأوعى، وقدر فهدى. ومن هنا أضحى القرآن بحق جديرا بالدراسة المتأنية الواعية المستمرة، ما دام المخاطب به يفكر ويعقل.

إنّ الطريق إلى فهم القرآن عمل يحتاج إلى إعداد السبل، وتهيئة الأدوات اللازمة لذلك، فقد يتصدى للقران من يخطئ فهمه، أو يتناوله فلا يدرك ما فيه إدراكا واعيا، أو ينبو عن أهداف آياته ومقاصدها.

وما يحدث الآن في مجتمعاتنا الإسلامية من انحرافات أو تطرف في فهم القران لهو دليل على هذا الأمر، فمثلا لما كان عليه المجتمع الإسلامي وقت أن تعددت الفرق الدينية والاتجاهات المذهبية، إذ كانت التأويلات الضالة – لدى بعض الفرق– معولهم في تطويع النصوص الدينية بما يوافق وجهتهم ويخدم مذهبهم، وبما تمليه مبادئهم واتجاهاتهم.

لذلك فإن الكشف عن مدلول ألفاظ القران الكريم وتراكيبه وتكراره لابد فيه من الرجوع إلى أصل اللغة وتراكيبها، لا يعني هذا أن مراد المتكلم ومقاصده من كلامه

يمكن أن تؤخذ من التفسير الحرفي للألفاظ دائما، وإنما يستعان بها في الفهم الشامل؛ لأن المقصود النهائي مطابقة قصد المتكلم من كلامه، وتحري تحقيق أغراضه من خطابه من مجموع التأليف بقدر الطاقة، وساذكر بعض النصوص التي نوردها وهي ضمنا تشير لنا إلى نشر التسامح ونبذ الفرقة ووحدة الصف المسلم الذي يشير إليه ضمنا القرآن الكريم.

ومن المعلوم إن اختلاف المفاهيم والألفاظ – لدى البعض– إنما هو حادث حول النص الديني منذ زمن بعيد، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى فهم خاطئ لمراد الله تعالى من تشريفه تدلنا على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ، عندما استعمل قدامة بن مظعون على بلاد البحرين، فعلم أن قدامة شرب فسكر، فاستقدمه عمر، وقال له: يا قدامة، إني جالدك لشربك، فقال: والله لو شربت –كما تقولون– ما كان لك أن تجلدني، فقال عمر: ولماذا؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (المائدة: ٩٣). فأنا لا ممن ينطبق عليهم هذه الصفات... فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس ﷺ: إن هذه الآيات أنزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين، فقال عمر: صدقت(١).

ولتحقيق هذا الغرض فقد بحث المفسرون تلك الألفاظ على أساس لغوي ودلالي للوصول إلى المعاني المراد والكشف عن فنون البيان ودقائق التعبير القرآني، وأثرها في لم شمل المعنى تجاه المجتمع الإسلامي الواعي الصحيح البعيد عن التفكك والانحلال هذا الأخير هو الذي يعنينا هنا أكثر من غيره.

إذ إن التكرار في الأساليب والألفاظ –باعتباره ضربًا من ضروب البيان– ظاهرة

(١) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي: ٣٤٩/٣.

تفرد القرآن الكريم بها على النحو الذي نلحظه، وتعرض القرآن لمستويات رائعة في النظم وجمال الأسلوب، وهذه الظاهرة قد تكون أشد وضوحا في السور المكية منها في السور المدنية، مع أن السور المدنية لا تخلو منها.

والتكرار ظاهرة لا تخلو منها أساليب الخطاب في اللغة العربية، إلا أن القرآن سلك بها طريق غير مألوف عند العرب، ونحى بها مناحي متعددة جاءت على غير مقاييس اللغة، وحملت في سياقاتها نبضات تثير كوامن النفس، وتلمس حبات القلوب، وتلك معجزة أسلوبية استقل القران بها.

يقول ابن الأثير: (وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مكرر لا فائدة في تكريره، فإذا رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتتكشف لك الفائدة منه)[١].

وما يدفع توهم التكرار: (أن يعتقد إن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما، فان التركيب يحدث معنى زائد ا،وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى، فكذلك كثرة الألفاظ)[٢].

ومما ينبغي ملاحظته أن التكرار في القرآن الكريم لم يرد على سبيل التماثل[٣] مطلقا، وإنّما جاء على وجه التشابه[٤]، كثمار الجنة متشابهة في الأشكال الظاهرية وطعومها مختلفة، مما يكسبها مزية المفاجأة وزيادة المسرة وعدم الملال كما في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ (البقرة: ٢٥).

(١) المثل السائر: ٣/١٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/٤٧٧، الإتقان في علوم القرآن: ٤/١٩-٢٠.

(٣) التماثل هو ما تكافأ في الصوت والجمع، أنظر اللسان: مادة «مثل».

(٤) التشابه ما إذا اشترك فيه اثنان كان مثلين، أنظر: اللسان: مادة «شبه».

وهكذا ما تكرر عرضه في القرآن الكريم له مزية معنوية ولفظية ونظمية هي غيرها في المواضع الأخرى، وأسلوب التكرار في القرآن أسلوب جدير باللفت والانتباه، ولما له من أثر كبير على مجتمعاتنا بأن يكّون لونا من ألوان التمكين لخطاب الله تعالى، يعمل على تعميق أواصر المحبة ذات المعنى المقصود في أذهان الناس وأفكارهم. وقد جاء البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول:

التكرار لغة واصطلاحا وأقسامه

التكرار[١] لغة: معناه إعادة الشيء مرة بعد أخرى، ويقال: كررت الشيء تكريرا وتكرارا[٢].

وفي الاصطلاح: فقد عرفه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: (وحقيقة إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى)[٣]، ويكمن أن نقسم التكرار في القرآن الكريم من خلال الآيات التي وردت فيها على الأقسام الآتية[٤]:

١- **التكرار اللفظي:** وهو أن يعاد اللفظ الواحد بنصه، وكذا العبارة أو الآية، ويمكن أن نقسم التكرار اللفظي على قسمين أيضا، وهما:

أ- **التكرار اللفظي المتصل:** وهو ما كرر فيه اللفظ أو العبارة من غير فاصل بين الأول والثاني مثاله: قال تعالى: ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٦)، وقوله: ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ (الإنسان: ١٥-١٦).

ب- **التكرار اللفظي المنفصل:** وهو ما تكررت فيه العبارة مفصولة عن الموضع الأول الذي وردت فيه بفاصل، وقد يطول وقد يقصر، مثاله: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ (النمل: ٦٠). تكررت هذه الجملة في سورة النمل أربع مرات بعد هذه الموضع الآيات (٦١-٦٥) وقوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ (القمر:١٧)، تكررت هذه الآية ثلاث مرات بعد هذا الموضع الآيات:

---

(١) قياس مصدر الفعل كرّر هو التكرير، أما التكرار – بفتح التاء- فقيل هو محمول عن التكرير، وقيل: هو مأخوذ من كرّر للمبالغة والتكثير. ينظر: الكتاب: ٧٩/٤.

(٢) ينظر: اللسان مادة «كرر».

(٣) ينظر: البرهان: ١٠/٣.

(٤) ينظر: البرهان: ٩/٣، الإتقان: ١٩٧/٣.

٢٢،٣٢، ٤٠.

٢- **التكرار المعنوي**: ورد في القرآن الكريم الحديث عن عدد من الموضوعات في سور متعددة مثل قصص عدد من الآنبياء عليهم السلام –كآدم ونوح وإبراهيم وموسى– وسوف نشير إلى أمثلة في أثناء الحديث عن التكرار في القصة.

وحديث القرآن عن هذه الموضوعات لم يتكرر بصورة متطابقة في كل المواضع فهناك تنوع في العبارات، وهناك تنوع في المعاني، مما يخرج هذه الموضوعات عن ظاهرة التكرار اللفظي المحض، والذي جعلني أضع عنوان (التكرار المعنوي) وهو حديث العلماء عن تكرار القصص في القرآن الكريم.

المبحث الثاني:

أسباب التكرار

ويمكن إرجاع التكرار في أسبابه، وما يؤديه من وضائف إلى أمرين عاميين:

أحدهما: ديني يتعلق بطبيعة القرآن نفسه، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، جاء ليربي هذه الأمة، ويرشد البشرية كافة إلى الدخول في هذا الدين، ومن يمارس التربية يعلم مدى حاجته إلى التذكير الدائم حتى يستقيم الأمر: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

فالغرض من التكرار هو تقرير المكرر وتوكيده، وإظهار العناية به، ليكون في السلوك أمثل، والالتزام به أبين. وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر القصص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه: ١١٣)، ولذا يقول النسفي: «كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره»(١).

والآخر: فني أدبي، فللتكرار في القرآن وظيفة ظاهرة يؤديها في البناء الفني والأدبي للنص، سواء في زيادة معان ثانية، أو إتمام الصورة الفنية، أو لغيرها من الأسباب، وهي كثيرة، وكلها تصب في مجرى تأكيد المعنى وتوضيحه، وإضفاء الحركة والحياة عليه(٢).

إن هذين السببين للتكرار متلازمان لبنية النص القرآني، وهما يدلان دلالة واضحة بأن سياق النصوص القرآنية تجسد وتجلي واقعيا وبيانا عمليا لقيم التسامح في القرآن الكريم، وكيفية التعامل معها، وتنزيلها على واقع الناس.

---

(١) تفسير النسفي: ٣٧/١.

(٢) ينظر: علم الإعجاز القرآن: ١٣٧.

المبحث الثالث:

سمات التكرار في القرآن الكريم

إننا حين نتلو القرآن الكريم فإننا لا نجد تكرارا حقيقيا بالمعنى المفهوم من اللفظ، إنما نجد ظاهرة أخرى، هي تستحق منا النظر من حيث الجمال الفني في التعبير، ومن حيث هي لون من ألوان التأثير الوجداني الفريد، هي ظاهرة (التنويع) في العرض والتصوير. ولذا فإن الأولى تسمية هذه الظاهرة بالتنويع لا بالتكرير[١]، ومن سمات هذا التنويع في القرآن الكريم أو ما يسمى بالتكرار:

١- إن العبارات التي وردت بنصها أكثر من مرة هي قليلة، ومع ذلك فإنها تؤدي رسالة معنوية وفنية في النص الذي وردت فيه، مثاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ في موضعين في (التوبة: ٧٣، وفي التحريم: ٩)، وقد تكررت لأمر مقصود، هو شحذ الهمة لمقاتلة الكفار والمنافقين، وذلك لاقتضاء السياق في السورتين لذلك، ونشر ثقافة التسامح ونبذ التفرقة.

٢- إن ما يسمى تكرارا في القرآن هو ليس (تماثلاً) بين النصوص، وإنما هو (تشابه)، إذا تمعنت فيه وجدت أنه شبيه بثمار الجنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ (التحريم). فظاهره يشبه بعضه بعضا، حتى إذا تناوله وجده مختلفا مذاقا، فهو يشبهه لكنه لا يماثله، مما يجعلهم يعيشون في مذاقات متجددة على الدوام يفاجئون بها، وهكذا فن التعبير في القرآن.

٣- أكثر الموضوعات التي ورد فيها التكرار هي موضوعات العقيدة، وما كان مسوقاً بالأصل لغرض عقيدي، مثل قصة آدم وإبليس وقصص الأنبياء، وأخلاقيات الإيمان.

---

(١) دراسات قرآنية: محمد قطب: ٢٥٤.

٤- إن التنوع في العبارات المتشابهة يأتي متناسقاً مع التنوع في التكوين والخلق، فيأتي اختلاف تلوين التعبير منسجماً مع اختلاف ألوان الخلق كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨). فأقام من اختلاف ألوان الخلائق مع سقياها بماء واحد دلالة على توحيد الخالق، فأخبر عن اختلاف ألوان الثمرات، واختلاف ألوان الجبال[1]، واختلاف ألوان الناس والدواب والأنعام، فلما كان هذا الاختلاف في ألوان الخلق عبر عنه بما يتناسق معه باختلاف ألوان صيغ التعبير:

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ - مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ (فاطر: ٢٧)

﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ - مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ (فاطر: ٢٧)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ - مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (فاطر: ٢٨)

فيكرر العبارة اللغوية الواحدة في موضع واحد بثلاث صيغ، اختلاف في الصيغ متناسق مع اختلاف في الألوان، تلوين متناسق في صفحة التكوين والكون، يصاحبه تنسيق في صفحة التعبير عنه.

وهكذا هي طبيعة روح النصوص القرآنية التي تدعو إلى التضامن والتكافل الاجتماعي، فالأفراد كلهم جسدٌ واحد، وروح واحدة في الإحساس بالألم والشعور بالمشاركة فيه، فضلاً عن أنهم سواسية في تحقيق التضامن والتكافل.

ويلاحظ أنه حينما يكون الحديث عن إنبات الزرع وإخراج الثمرات يأتي بكلمة (مختلفاً) منصوبة كما في الموضع الأول مما سبق، ومثاله أيضاً: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (النحل: ١٣)، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ (الزمر: ٢١)، ونظير هذا قوله: ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ (الأنعام: ١٤١).

---

(١) جُدَدٌ، جَمْعُ جُدَّةٍ، أي: طرق وشعاب بيض وحمر وشديدة السواد.

وذلك أنه أتى بالجملة الفعلية مع الثمرات والزرع، وأتى مع تلون الجبال والناس والدواب بالجملة الاسمية في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ﴾، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، مع مشاركتهما للجملة الفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمون كل من هذه الجمل على تباين الناس في الأحوال، وذلك لأن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر ودائم، فعبر عنه بما يدل على الاستمرار والدوام، وأما إخراج الثمرات المختلفة فأمر حادث متجدد، فعبر عنه بما يدل على الحدوث وهو الفعلية(١).

أرأيت الإبداع في التعبير، إنه بمثل هذا التكرار كان معجزاً، فتنوع الصيغة يلفت الحس البشري إلى ظاهرة التنوع في الخلق، وتأسيس مجتمع إسلامي جديد قائم على التضامن والتكافل الاجتماعي، فضلاً عن تنوعه ورصانته ورص صفوفه.

٥- ثم إن كل سورة من السور القرآنية لها شخصيتها المميزة وجوها الخاص، وإن كل نص من نصوص القرآن وإن بدا متشابهاً فإنه يأخذ جو السورة التي يرد فيها، ومن ثم تكون له ملامحه الخاصة في كل مرة، أحياناً بتقدم كلمة أو تأخرها، سواءً بنفسها، أم بعد تغيير في ملامحها أو بزيادة كلمة أو حذفها أو بنحو ذلك، فلا يتكرر النص بنفسه، ولا تجئ الملامح مرتين متماثلة، إنما يحدث في كل مرة نوع من التغيير مثاله: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٤)، ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (فاطر: ١٢)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الكهف: ٥٤)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ (الإسراء: ٨٩). فإذ افتتحت سورة الكهف بالحديث عن القرآن قدم فيها ذكر القرآن، وإذ افتتحت سورة الإسراء بالحديث عن الناس قدم ذكرهم فيها، تنوع الألفاظ تزيد من مساحة التعاون والتضامن والتكافل بين المواطنين في تنوع تلك النصوص القرآنية(٢).

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٥١/٧ والتحرير والتنوير: ٣٠٣/٢٢.

(٢) ينظر: علم الإعجاز القرآني: ١٣٧-١٣٩.

المبحث الرابع:

وجوه التكرار في القرآن

أ. تكرار الأداة:

ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٠). وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٩).

فيلاحظ في الآيتين تكرار الأداة «إنّ» مع اسمها في كل آية مرتين، والظاهر الاكتفاء بإيراد «إن» في المرة الأولى. والسبب في هذه الإعادة هو: طول الفصل بين الأداة وخبرها، مما يشعر بتنافيه مع الغرض الذي جاءت من أجله «إن»، وهو التوكيد. لهذا اقتضت البلاغة إعادتها لتلحظ النسبة بين الركنين على ما هو حقها من التوكيد، تطرية له وتجديدا لعهده. فكان بتكرار الأداة زيادة في التأكيد وتقوية له اقتضاها المقام، ومثاله من الكلام: ما يأكل الذي يغصب ويظلم الناس ويأخذ أموالهم، إن يأكل إلا النار، فيكون قوله: إن يأكل، توكيدًا لقوله: ما يأكل(١).

وإن الفتنة التي فتنوا بها كانت في دينهم، فكانوا في أشد ما يمكن أن يقع فيه المؤمن من الخوف والقلق من عدم قبول توبتهم وأعمالهم، فجاء هذا التكرار تأكيدا متناسبا مع حالتهم لإزالة الخوف والتبشير بالمغفرة والرحمة، وفي تكرار لفظ «ربك» مرتين مع الأداة إشارة إلى هذا وتذكيرا بالربوبية والعناية والاطمئنان في قبول توبتهم من الفتنة وعمل السوء، وفي قبول هجرتهم وجهادهم وصبرهم وإصلاحهم.

(١) ينظر: التفسير البسيط: الواحدي: ٢٥٤/١١، ومفاتيح الغيب: ٢٨٣/٢٠.

ثم هناك سبب آخر، هو فني، وهو: الفارق فيما بين البنائين؛ النظم الذي عليه النص القرآني، وفيما إذا أسقطت «إنّ» عنه، فبينهما فرق ظاهر من حيث التناسق وجمال التعبير في الأول، وضعف وركاكة فيما لو أسقطت الأداة الثانية(١).

كذلك فإن التكرار الذي اقتضاه طول الفصل متناسق مع طول الفاصل الزمني الحاصل بين العملين؛ فتنة أو عمل السوء في زمن، ثم توبة وعمل صالح في زمن آخر بعده، وفي مجيء «ثم» في الآيتين التي تفيد الترتيب والتراخي في الزمن يشعر بذلك، فإن العمل الذي يقتضي المؤاخذة كان في زمن، ثم كان العمل الذي ترتبت عليه المغفرة والرحمة،مما ناسبه تكرار الأداة تبعاً للاختلاف والتنوع في الزمن والعمل(٢).

ب. تكرار الكلمة:

مثاله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ (النمل: ٥)، فقد تكرر الضمير «هم» مرتين، وهذا التكرار فائدته تقوية المعنى وتأكيده.

ومثله أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الرعد: ٥). فقد تكررت «أولئك» ثلاث مرات، تبين الأولى كفرهم بربهم، والثانية تبين أنهم لا طريق لهم إلى الهدى؛ لأن الأغلال في أعناقهم، والثالثة تبين مصيرهم يوم القيامة. فهي مكررة بتعدد المعاني واختلافها، مع أنها تكسب النص جمالاً وحسناً لا تجده لو أسقطت إحداها، كما أنها تقوى المعنى وتؤكد النسبة في المواضع الثلاثة للتسجيل عليهم.

(١) المثل السائر: ابن الأثير: ٧/٣، والإتقان: ٢٠٠/٣، وخصائص التعبير القرآني: ٣٢٣/١.

(٢) ينظر: علم الإعجاز القرآن: ١٣٩-١٤٠.

ومثله قوله في وصف المتقين: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ٥). ففي تكرار اسم الإشارة «أولئك» تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح(١).

ومما يوضح لنا أن التكرار للكلمة في القرآن هو مقصود قصداً معنوياً، تشتمل المنظومة الأخلاقية في الإسلام على جملة أخلاق يصح أن نسميها "أخلاق التعايش"، أننا نجده يكرر كلمة في موضع ولا يكررها في موضع آخر قريب منه، ومن هذا قوله في قصة إبراهيم وعلى لسانه عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (الشعراء: ٧٨-٨٢).

فنجد أنه ﷻ كرر الضمير «هو» في مواضع من النص، ولم يأت به في مواضع، فلم يقل: وهو الذي يميتني وهو يحيين. كما لم يقل: هو الذي خلقني، مع أنه قال: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ و﴿هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ و﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

ونكتته: أن الضمير «هو» يفيد توكيدا، والتوكيد للجملة يؤتى به عند الحاجة إليه، مثل وجود شك أو إنكار من المخاطب، أو ما يُنَزّل منزلتهما، وعلى هذا الأساس جاءت بنية هذه الجمل في النص القرآني، فحينما لا نجد من يدعي فعل مثل هذا من البشر، ولا ينكر أحد أنه فعل ممحض لله وحده، لا نكون بحاجة إلى تأكيد، «فالخلق والإماتة والإحياء» لا أحد يدعيها، فلا حاجة إلى تأكيد أن الفاعل لها هو الله وحده.

وأما إذا كان الفعل مما قد تجد من يدعيه لنفسه تكبراً وبطراً على الحق من البشر، فإنه يأتي به مؤكداً بالضمير كما في: «هو يهدين، هو يطعمني، هو يشفين»، فأتى بالضمير وكرره في هذه المواضع؛ لأن هناك من يدعي أنه هو يهدي الناس،

(١) تفسير النسفي: ١٥/١.

ومنهم من يدعي منح الرزق وإعطائه، ومنهم من يدعي الإشفاء للآخرين، وأن من الناس من يظن بأن من هداه هو فلان من الناس، ومنهم من يظن بأن الرزق بيد بعض البشر، وأن الذي يشفي ويعافي هو الطبيب، ويغفلون أن هذه أسباب، وأن الفاعل الحقيقي هو الله، ولو شاء لما تمكن هؤلاء من إيصال ما جعلهم سببا في إيصاله.

لهذا نجد القرآن كرر الضمير مع كل واحد من هذه الأمور تأكيداً على أن الفاعل هو الله، وقطعاً لكل ظنة تصور أن له شريكاً في فعل ذلك. ولم يأت بالضمير مع الإحياء والإماتة والخلق لعدم الحاجة إلى التوكيد هنا بسبب عدم وجود المقتضى(١).

وفيها ملحظ آخر، وهو إسناد هذه الأفعال إلى الله تعالى، سوى المرض فقد أسنده إلى نفسه، أدبا في الخطاب مع الله تعالى؛ لأنه من الأدب إسناد أشرف قسمي أفعاله تعالى إلى نفسه، وإسناد أفعال العيب والضر وأمثالهما إلى الفاعل المجازي(٢).

ج. تكرار الفاصلة:

وقد ترد الفواصل مكررة في القرآن الكريم، وهذا التكرار قد يرد مرتين، وقد يرد ثلاث مرات، وقد يرد أكثر من ذلك. وكله يعود إلى تعدد المتعلق، بأن يكون المكرّر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الأول، وهذا القسم يسمى بالترديد.

وهذا ما نجده بارزاً في سورة القمر وسورة الرحمن وسورة المرسلات، فنجد الفاصلة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تكررت في سورة القمر أربع مرات، (الآيات: ١٦، ١٨، ٢١،٣٠) عقب قصة قوم نوح وانتهائها بنهايتهم المرعبة وبأسلوبها العجيب، ولدى افتتاح قصة عاد، بقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر: ١٨)، وعقب ذكر قصة إهلاكهم بالريح الصرصر بعد عتوهم وتركهم: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٣٥/٤، البحر المحيط: ١٦٥/٨ وحوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود: ٧٠.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٣٥/٤، الجامع لأحكام القرآن: ١١٠/١٣.

مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾﴾ (القمر: ٢٠-٢١) ، وإعادتها في قصتهم إخراج لها مخرج الاهتمام، وإشارة إلى أن التكذيب عاقبته العذاب والهلاك، فابتدأ القصة بهذا التنبيه، ثم كرره كالتقرير لما أخبر عنه. ثم جاءت هذه الفاصلة رابعة مع قصة ثمود ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ (القمر: ٢٩-٣١)،

وهذا التكرار لمثل هذه الفاصلة يشير إلى تشابه مقالة شركهم وتكذيبهم، وتماثل نهاياتهم، وتشابه شدة عقابهم، وسرعة أخذهم وإهلاكهم، تماما كتشابه هذه الجملة المعقبة على قصصهم.

وهو أيضا يناسب جو هذه السورة وسياقها وأسلوبها تماما، فهي من السور التي بنيت على الإنذار والتهديد لمن يحارب الله ورسوله، والوعيد الشديد لهم بالعذاب، فجاءت سريعة الإيقاع، قصيرة الفواصل، قوية الألفاظ، وجاءت بقصص أولئك الأقوام المكذبة وما حصل لهم من الإهلاك بصور عجيبة، وكيفيات مرعبة وغريبة، وهي مع أنها صور إهلاك متنوعة، إلا أنها كلها تنتهي إلى نهاية واحدة، هي هلاكهم هلاكاً مفزعاً وهم غافلون، يبعث خبره على التعجب، ووصفه على شدة الاستغراب، بحيث يترك الخيال سارحا في استكناه كنهه، وتصور شدة وقعه. فتكرار الفاصلة نفسها مع هذا القصص إشارة إلى أن خاتمة المكذبين المتكبرين واحدة، مع مناسبة هذه الفاصلة للموضوعات التي جاءت تعقيباً عليها، وتناسقها مع إيقاع الفواصل في السورة كلها.

وأما التكرار في سورة الرحمن فقد تكررت الفاصلة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، حيث تكررت إحدى وثلاثين (٣١) مرة. وقد تميز التكرار في هذه السورة بأمور من أبرزها:

١- إن التكرار فيها هو أكثر صور التكرار الوارد في القرآن الكريم.

٢- إن مما حسن التكرار في هذه السورة، أنه قد مهد له تمهيدا رائعا، حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل، وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة: (الميزان) ثلاث مرات متتابعة، ودونما نبو أو ملل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ (الرحمن: ٧-٩)، مما أشاع في جو السورة لحنا موسيقيا متناسقا، هو بمثابة مقدمة طبيعية لتناغم يعقبه، متآلف في إيقاعاته ومتناسق مع ما قبله، مما يجعل النفس تألفه وتأنس به، دون أن تفاجأ به(١).

٣- إن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الخلق، فجاء عقب ذكر كل نعمة أنعمها على الخلق بعبارة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ حثا لهم على شكر نعمه، وتذكرها وعدم نسيانها. وكل فاصلة هي تتعلق بالنعمة التي قبلها، لا أن الجميع عائد إلى شيء واحد. وكأنه يقول: فإن نسيت تلك النعمة فهل هذه تنسى، وإن شغلت عن هذه فهل بعد مثل هذه تشغل عن شكرها. وهكذا. كما يقال: زيد عالم، زيد فاضل، زيد متعاون، زيد عاقل، وتسرد صفاته، فهذا ليس تكرارا، وإنما لزيادة التأكيد في استحقاقه للتقدير والإكرام، وكأنه مما لا يصح ولا يجوز عقلا وعادة أن يغفل حقه.

٤- إن هذه الجملة جاءت عقب زواجر وتذكير بالعذاب، وهي في ظاهرها ليست من النعم، كقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٤ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ۝٣٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦﴾ (الرحمن: ٣١-٣٦)، وحتى قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٥﴾ (الرحمن: ٤١- ٤٥)، فكيف جيء بهذه الجملة عقبها، فنقول: ذكرُ النقمةِ

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٣٢٩/١.

للتحذير نعمةٌ، فإنّ ذكر جهنم والعذاب وإن لم يكونا من النعم، فإن ذكره لهما على طريقة الزجر عن المعاصي، والترغيب بالطاعات من الآلاء والنعم، فالتهديد والزجر ربما يكون أعظم في النعمة[١].

د. التكرار في القصة:

والتكرارفي القصة هو أهم ما يميز التكرار في القرآن الكريم فهو ظاهرة فنية ودعامة تربوية، لها أهداف عدة جاء لإبرازها، إذ ليس المراد من التكرار والتنويع فيها مجرد العرض والمعرفة، أو التشويق والتسلية، وإن تحققت. يقول الزركشي: «إن عادة العرب في خطاباتها إذا اهتمت بشيء أرادت تحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء إليه، كررته توكيدا، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء بحيث تقصد الدعاء، والقرآن نزل بلسانهم، فكانت مخاطباته فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة»[٢]، فالكلام إذا تكرر تقرر في النفس وثبت في الصدر[٣].

ولتكرار القصص القرآني سمات بالغة الأهمية، منها:

١- إن العبارات كثيرا ما تأتي متشابهة بل متماثلة في مخاطبة الأنبياء لأقوامهم، وفي جواب أقوامهم لهم، وهذا لم يرد اعتباطا، وإنما هو مقصود قصدا.

فمثلا في قصص «نوح وهود وصالح وشعيب» عليهم السلام مع أقوامهم المكذبين، فإنها ترد ذات القصة لكل من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام في سورة «الأعراف وهود والشعراء» بما يوهم لأول وهلة أن هناك تكراراً في المفردات وفي

(١) ينظر: علم الإعجاز القرآني: ١٤٣.

(٢) البرهان: ٩/٣.

(٣) الكشاف: ٣٨٥/٣ ومن أسباب تكرار القصة في القرآن الكريم: يوسف حامد الفكي:٢٠ –وما بعدها.

المجموع، أو هي تكرار لقصة جماعة واحدة مع نبيها، وليست هي قصص متعددة لأقوام مختلفين.

٢- إن عرضها يجيء بطريقتين:

- تنويع (تكرار) في عرض القصة الواحدة من سورة إلى سورة أخرى، مع اختلاف في التلوين تبعا لاختلاف جو السورة.
- وتنويع في عرض المجموعة المتشابهة من القصص في كل سورة على حدها، مع إبراز أوجه التشابه في موضوعاتها جميعاً لدى عرضها في السورة الواحدة. وهذا واضح لمن طالعه.

٣- إن كل الرسل قد جاءوا بكلمة واحدة من عند الله وبقضية واحدة على تتابع الأجيال يؤدونها، هي: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

٤- إن كل الأقوام قد كان منها تكذيب لرسلها، فلم تستجب لِمَا بلغّها به الرسل من عند الله، كما كان منها أن آمن بهم بعض أقوامهم، فانقسم الناس بإزاء الدعوات صنفين، مؤمنين مصدقين، وكافرين مكذبين.

٥- إن الله نجى رسله ومن آمن معهم في النهاية، وأهلك المكذبين ودمر عليهم.

٦- إن الملأ-وهم السادة-هم المكذبون دائما، وهم الذين يتصدون لدعوة الرسل.

فاسمع إلى التكرار والتنويع في قصصهم عليهم السلام في سورة الأعراف:

قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ (الآية ٥٩).

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ (الآية ٦٠)

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ (الآية ٦٥).

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (الآية ٦٦).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ (الآية ٧٣).

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾ (الآية ٧٥-٧٦).

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ (الآية ٨٥).

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ (الآية ٨٨).

فتتوحد الدعوة في كل مرة، وتتشابه المواقف في رد الملأ، سخرية وإعراضا وتكذيبا، ويختلف الأسلوب ويتنوع التعبير فيما بعد في رد الملأ على كل رسول بحسب الطبيعة والزمان، وما يقتضيه سياق كل سورة وشخصيتها الخاصة.

وهكذا في التعقيب على كل قصة في السورة، تتشابه العاقبة والنتائج، وتستمر السنن بثبات لا تتبدل:

فمع قوم نوح: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ﴾ (الآية ٦٤).

ومع قوم هود: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (الآية ٧٢).

ومع قوم صالح: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ (الآية ٧٨-٧٩).

ومع قوم شعيب: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (الآية ٩١-٩٣).

فتتوحد نتيجة كل من الأقوام المكذبين، بتوحد تدميرهم، وتتوحد عاقبة المؤمنين بنجاتهم أجمعين، ويتنوع الأسلوب.

وهكذا حينما نقرأ قصة كل رسول في السور المختلفة، نجدها تتنوع بحسب أجواء السورة، وهو يؤكد لنا أن إيراد هذا اللون من القصص بأسلوب التكرار والتنوع إنما هو مقصود لأداء وظائف معنوية مع الوظيفة الفنية(١).

(١) ينظر: علم الإعجاز القرآني: ١٤٧.

المبحث الخامس:

فوائد تكرار القصص ومقاصده

١- إن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة، من زيادة شيء في موضع لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى، أو تقديم وتأخير، ما لا يخفى من الفصاحة.

٢- إن في هذا التكرار إظهار خاصة القرآن، حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه هُجْنة في اللفظ، ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلقين.

٣- لقد أفاد إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم جذب النفوس إلى سماعها، لما جبلت عليه من حب التنقل بين الأشياء المتجددة واستلذاذها بها.

٤-إنه تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاما بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء به وبأي عبارة عبر بها.

٥- إنه تعالى تحداهم بالإتيان بمثل سورة منه، ولو اكتفى بذكر القصة في موضع واحد لقال قائل منهم: إيتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزل الله سبحانه القصص مكررا في السور بأساليب متعددة، قطعا لحجتهم من كل وجه(١).

٦- تكرار القصص فيه تكرار العظة والعبرة، من باب تذكرها لمن نسيها، وترسيخ مرماها في ذهن السامع والقارئ.

٧- إظهار جوانب أخرى من العبر والحكم والعظات تناسب المقام الذي وردت فيه، إذ أن كل قصة تكرر ذكرها قد جاءت متناسقة مع السياق الذي وردت فيه، ولها وظيفة جديدة تؤديها في مقامها الجديد.

---

(١) الإتقان: ٣/٢٠٤-٢٠٥.

٨- إننا نجد أن العبارة تجيء موحدة على لسان كل رسول في الشريط المتتابع للرسل، كل رسول يقول نفس الكلمة ويمضي، ويأتي مَنْ بعده بنفس الكلمة أيضا بلا تغيير، وكأنما هي رسالة واحدة مكررة، وإن اختلف الزمان والمكان، واختلف الأشخاص واللغات. وهذا ما تجده بارزا في أسلوب القصص القرآني.

٩- أحيانا يخبر عن قوم معينين أنهم كذبوا الرسل، مع أنهم لم يرسل لهم إلا رسول واحد، وأحيانا يقال عن أقوام متعددين أنهم عصوا رسول ربهم. ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول بمثابة تكذيب جميع الرسل. فهي جاهلية واحدة مكررة وإن اختلفت اللغات والأشخاص، وتباعد الزمان واختلف المكان.

١٠- إن القرآن حينما يقدم علينا قصص الأمم المتعاقبة في التاريخ، بشخوصها التي يحكيها وكأنها متماثلة، ونتائجها المتشابهة، فيظهر لنا دائما وحدة الدعوات، ووحدة المواقف، ووحدة النتائج واستمرارها، فإنما يثبت لنا أن سنن الله في الخلق ثابتة لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتحول؛ لأن هذا بمثابة الاستقراء التاريخي الشامل للأحداث والوقائع التي حدثت في الحقب الزمنية المختلفة، وهذا الاستقراء لأحداث التاريخ يبرهن على أن تلك النتائج لا تتخلف متى ما قامت أسبابها، وأنه متى ما قامت الأسباب المتشابهة جاءت نتائجها متشابهة، فلا تقبل التغيير ولا التحويل، فهي تدل على الوحدة وعدم التفرقة[١].

بعد هذا نؤكد أن التنويع لا التكرار هو الظاهرة الحقيقية في القرآن، وأن من إعجاز القرآن أن يعرض الموضوعات بهذا القدر المعجز في التنويع للتذكير والتربية والتوجيه، بحيث لا تتكرر صورتان متماثلتان أبداً في القرآن على كثرة المواضع التي يرد فيها كل موضوع، مع ما في ذلك من الحكمة بالنسبة لكتاب يقرأ على الدوام، ويتلى للتقرب به، وأن التنويع ذاته لجمال، فوق أنه يذهب عن النفس الملال.

(١) ينظر: علم الإعجاز القرآني: ١٤٨.

الخاتمة

١. إن التنويع لا التكرار وهو الظاهرة الحقيقية في القرآن الكريم، وأنه من إعجاز القرآن الكريم، بحيث لا تتكرر صورتان متماثلتان أبداً في القرآن على كثرة المواضع التي يرد فيها كل موضوع .

٢. أن التنويع ذاته هو الجمال، فوق ذلك أنه يذهب عن النفس الملال.

٣. كثرة النصوص القرآنية وتنوعها تهدف بجملها إلى وحدة المعنى، وهذا جانب ديني يتعلق بطبيعة القرآن نفسه.

٤. تنويع النصوص في القصة القرآنية يؤديها في البناء الفني والأدبي للنص، سواء أكان في زيادة معنى أو إتمام صورة، أو غيرها.

٥. دلت معاني التنويع إلى وحدة المواقف، ووحدة النتائج واستمرارها، فإنما يثبت لنا أن سنن الله في الخلق ثابتة لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتحول؛ لأن هذا بمثابة الاستقراء التاريخي الشامل للأحداث والوقائع التي حدثت في الحقب الزمنية المختلفة، فهي تدل على الوحدة وعدم التفرقة .

المصادر والمراجع

١. إرشاد العقل السليم في مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، د.ط.

٢. أسرار التكرار في القرآن، الكرماني، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الاعتصام.

٣. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ١٩٨٧.

٤. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية، تونس، د.ت. ١٩٨٤م.

٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، بيروت، دار الفكر.

٨. تفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، عمادة جامعة البحث العلمي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٩. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، المحقق: هشام

سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٠. حوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود، بيروت، دار المتوسط.

١١. دراسات قرآنية: محمد قطب، بيروت، دار الشروق، ١٩٩٣م.

١٢. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٢م.

١٣. علم الإعجاز القرآني بين الفن والتاريخ: د. خليل رجب حمدان، مركز عبادي للنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠١م.

١٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٦م.

١٥. لسان العرب: ابن منظور، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦م.

١٦. الكتاب: سبيويه، عمرو بن عثمان، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت، ١٩٩١م.

١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، مطبعة النهضة، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ): تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٢٠. مفاتيح الغيب «التفسير الكبير» «تفسير الرازي»: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الملق بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢١. من أسباب تكرار القصة في القرآن الكريم: يوسف حامد الفكي، د.ت، د.ط.

٢٢. الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي، المكتبة التجارية، القاهرة.